مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــرام
التاريخ : ١٩٧٣/١٢/١٤

بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل

[٢] اسرائيل : ما يجرى وما جرى

المراحل الثلاث لصراع الحرب

منذ بدء الحضـــارة ، وكل عمل انســـانى يمر فى ثلاث مراحل متعاقبة ، وأحيانا تكون متداخلة ، وهى :

- نقطة البداية [أى القرار]
- خط الممارسة [أى الحركة]
- ثم : المحصلة [أى النتائج]

ولو اعتبرنا ان الزراعة كانت مدخل الانسان الى الحضارة ــ وهذا صحيح ــ لوجدنا ان المراحل الثلاث تتمثل فيما يلى :

- الغرس [وهو نقطة البداية ، أو القرار] .
- الفلاحـــة] وهى حركة الرعاية المستمرة للغرس ومتابعة مراحل النمـــو والتنبه للعلاقة بالفعل ورد الفعل بين الانســـان والارض ، بمـــا فى ذلك حســـاب متغيرات الجـــو والاستعداد للعوارض الطارئة] .
- الحصـــاد [وهو جمع النتائج التى يحققهـــا الغـــرس والفلاحة ، وحماية هذه النتائج ، والاستفادة منها الى الحـــدود القصـــوى] .

والســـياسة ، قديمـــا وحديثا ، لا تختلف عن ذلك كثيـــرا ــ باعتبارها عملا انســـانيا ــ وربما كان الفـــارق بين السياســـة القديمة والســـياسة الحديثة ، هو زيادة معدلات سرعة الحركة ، وتغير الوســـائل والادوات ، واتســـاع رقعة العمل ، وتنـــوع المؤثرات والاحتمـــالات ــ لكن المعـــالم الرئيســـية تبقى كما هى بدون اختلاف كبير :

- صـــنع القـــرار الســـياسى واتخـــاذه لتحقيـــق هدف من الاهداف المطلوبة .
- ادارة الصراع السياسى الشـــامل للوصول الى هذا الهدف المطلوب .
- اســـتغلال العناصر التى تظهر من خـــلال ادارة الصراع وتوجيه النتـــائج التى تتحقق به للوصول الى حل يتلاءم ــ او هو قريب ــ من الهدف المطلوب .

ولقد قلت فى السطر الاول من هذا الحديث ان المراحل الثلاث فى أى عمل : متعاقبة ، واحيانا تكون متداخلة ، والحقيقة ان الصلة بين المراحل الثلاث وثيقة الى درجة عضوية ، أى انه :

- لابد ان تكون نقطة البداية سليمة ، لتكون هناك فرصة لممارسة سليمة ، ثم لمحصلة نهائية سليمة .
- وقد يحدث أحيانا أن يكون الغرس طيبا ، ولكن الفلاحة تقصر فى دورها ، فلا يكون هناك حصاد ، أو أن يكون الغرس طيبا ، وتكون الفلاحة واعية ، ولكن اسلوب الحصاد يفسد المحصول ، او يكون القصور فى حماية المحصول بعد الحصاد فاذا اللصوص يسرقونه من « الجرن » !

● وقد يكون القرار السياسى صائبا فى صنعه واتخاذه ، ثم يحدث الخلل فى مرحلة ادارة الصراع ، أو يحدث الخلل فى مرحلة استغلال العناصر التى تظهر من خلال ادارته والخطأ فى توجيهها بما يحقق الوصول الى حل يتلاءم — أو يقترب — من الهدف المطلوب .

وربما لاحظنا — ولابد أن نلاحظ — ان المراحل الثلاث لاى عمل تعكس نفسها عند التطبيق العملى فى ثلاث قسمات شبه مستقلة ، برغم التداخل بين المراحل .

عند التطبيق العملى تبدو القسمات الثلاث المستقلة ، ظاهرة واضحة على النحو التالى :

● فى المرحلة الاولى [البداية — الغرس — القرار] ، فان التصرف يكون فى الواقع أشبه بحديث من جانب واحد [ما يسمونه مونولوج] ، أى طرف قرر بنفسه ولنفسه ، وأخذ فى يده المبادأة ، وربما المفاجأة وأقدم على عمل ما لتحقيق هدف ما .

● وفى المرحلة الثانية [الممارسة — الفلاحة — ادارة الصراع] ، فان التصرف يكون فى الواقع أشبه بحوار بين طرفين [ما يسمونه ديالوج] ، ذلك لان الطرف الاخر لا يستسلم للمبادأة — أو للمفاجأة — الى الابد وبغير رد فعل من جانبه . ولعل هذه المرحلة الثانية فى أى صراع ، أن تكون أخطر المراحل فيه ، لانها المرحلة التى تستطيع ان تصون ما سبقها وتؤثر فيما بعدها ، ذلك لانها مرحلة الاختبار الفعلى للقوى ، فهى المرحلة التى تبدو وتتجلى فيها « ديناميكا » الصراع .

ذلك انه حينما يبدأ أحد بحديث من طرف واحد ، فان الحديث قد يكون بليغا ، وقد يكون مؤثرا ، ولكن الصورة الكاملة لا تظهر الا عندما يبدأ الحوار بين

اثنين . ويحتدم الصراع بين القوى المتعارضة .

● وفى المرحلة الثالثة [المحصلة ـ الحصاد ـ استغلال العناصر وتوجيه النتائج لتحقيق الهدف] ، فان التصرف فى الواقع يصبح ـ فى ظل أوضاع متغيرة ـ مناقشة عامة بين أطراف متعددة ، لان أى صراع فى هذا العالم ، وفى هذا العصر ، لا يمكن حصره بين طرفين ، وانما يدخل آخرون فيه بعد وقت معين، وهم فى تدخلهم يتأثرون بما حدث فى المرحلتين السابقتين ، وتدخلهم بدوره يؤثر فى المرحلة الثالثة على نحو أو آخر : ولكنه يبقى طول الوقت تحت تأثير ما سبق .

واذا تركنا التعميم الى التخصيص فيما هو متصل بموقفنا اليوم من حرب ٦ اكتوبر وما يجرى وجرى فى اسرائيل بسببها ، فاننا نستطيع أن نضع الملامح التالية على أساس المراحل الثلاث فى كل عمل انسانى :

❶ مرحلة القرار [كان قرار الحرب عربيا ، وقد تحملت مصر بالذات مسئوليته الاولى ، وكانت المباداة فيه ـ والمفاجأة ـ فى يد الطرف العربى] .

ويمكن ان نقول ان هذه المرحلة بدات من تاريخ سابق بكثير على السادس من اكتوبر ، ثم بلغت قمتها فى ذلك اليوم

❷ مرحلة ادارة الصراع ـ بالقوة الشاملة ـ بعد القرار ، وحين بدا رد الفعل الاسرائيلى والموالى لاسرائيل [من الولايات المتحدة الامريكية] ولم يعد الصدام بذلك مجرد حديث من جانب واحد [مونولوج] وانما أصبح الصدام حديثا بالنار بين طرفين [ديالوج] .

ونستطيع أن نقول ان هذه المرحلة مازالت مستمرة الى الان

❸ مرحلة تحقيق الهدف ، ونستطيع أن نقول ان هذه المرحلة تكاد تبدا مقدماتها ، وكلها معلقة بالتطورات القادمة وشكلها ونوعها وقيمتها .

ولسنا فى هذه المرحلة نجرى حديثا من جانب واحد ، كما اننا لا نجرى فيها حوارا بالنار مع العدو فقط ، ولكن الامر تحول ـ فى ظل أوضاع متغيرة ـ الى مناقشة عالمية ، فيها أمتنا العربيةكلها ، وفيها القوتان الاعظم [الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى] ، وفيها أوربا الغربية ، وفيها افريقيا ، وفيها الدول غير المنحازة ، وفيها

الامم المتحدة بأسرها ، كما أن أساليب الفرض والاقناع فى فى هذه المناقشة لا تقتصر على قوة النار ؛ ولكن هناك ايضا قوة النفط ، وقوة الرأى العام العالمى وتوازن القوى الدولية ... الى آخره .

وبالتالى فلعلى أقول ان ما اتحدث عنه هنا ؛ فى هذه السلسلة من المقالات عن « اسرائيل : ما يجرى وما جرى » محدد كله ، ومحصور كله ، فى نطاق المرحلة الاولى وهى « مرحلة القرار » ، ذلك لان هذه المرحلة أمامنا كاملة أو شبه كاملة ؛ وذلك مع تسليمى بأنها متداخلة مع مراحل تليها فيما يتعلق بأى حكم نهائى .

أردت أن أحدد ذلك لكى أكون دقيقا فيما أقول ؛ ثم لكى أكون منصفا .

كان يوم السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ — وسوف يبقى كذلك مهما حدث أو يحدث — أكثر الايام سوادا فى تاريخ اسرائيل حتى الان .

فى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم ، كانت المبادأة العسكرية — لاول مرة — فى يد مصر ؛ وكانت المفاجأة — لاول مرة — ضد اسرائيل .

وصحيح ان اسرائيل عرفت قبلها بساعات بنية هجوم وشيك عليها من الجبهة المصرية والجبهة السورية ، الا ان الوقت كان متأخرا « لعمل شىء مؤثر » كما ثبت من نتائج اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى صباح يوم السادس من أكتوبر :

- كان الوقت قد فات لضربة اجهاض مؤثرة ؛ لان القوات اللازمة لمثل هذه الضربة لم تكن متوافرة لدى اسرائيل .
- كان التدخل بنصف ضربة قاصرا عن تحقيق أى هدف .
- كان الاعتماد على الطيران وحده لضربة الاجهاض المقترحة كفيلا بتعريض الطيران الاسرائيلى لشبكة الصواريخ المصرية ، وبتكاليف فادحة بالنسبة له .
- كان التقدير الاسرائيلى ان البدء بنصف ضربة أو بضربة طيران فادحة التكاليف ، سوف يظهر اسرائيل مرة أخرى بمظهر المعتدى ، وهو وضع لا تستطيع مواجهته عالميا ؛ خصوصا مع احتمال الفشل ؛ وهو ما بدا محققا .

وللأمانة التاريخية ، فان هذا الوضع الذى وجدت اسرائيل نفسها فيه ، لم يكن مجرد مصادفة قابلتها مصر ، أو حظا حالفها فجأة ، وانما كان حسابا دقيقا فى خطورته وفى مسئوليته

واتذكر مقابلة مع الرئيس

أنور السادات فى بيته فى الجيزة يوم الاربعاء الثالث من اكتوبر ، واتصل الحديث من الساعة الثانية بعد الظهر الى ما قبل مدفع الافطار بقليل ، وكان الحديث بالطبع عما هو قادم وعن احتمالاته .

كنا نجلس فى شرفة أمام غرفة نومه مطلة على النيل وفى الهواء الطلق الذى لا يطيق أنور السادات أن يعيش بعيدا عنه .

وأثناء مناقشة كل الاحتمالات نظر الرئيس الى ساعته وقال وما زلت أتذكر عبارته بالحرف :

ـ اليوم هو الثالث من أكتوبر والساعة الان الرابعة بعد الظهر ، وأظن انهم سوف يعرفون بنوايانا فى أى لحظة ابتداء من الان ، ذلك لان تحركاتنا فى الساعات القادمة لن تترك لهم مجالا للخطأ فيما ننتويه ... لكنهم مهما فعلوا لن يلحقوا بنا ...

حتى لو عرفوا هذه الليلة ، وحتى لو اتخذوا القرار باستدعاء كل الاحتياطى العام لديهم ، وحتى لو فكروا فى توجيه ضربة وقائية كما يقولون ، فقد فاتتهم الفرصة للحاق بنا » .

كان تقديره ـ كما أثبتت الحوادث وأكدت ـ صحيحا الى أبعد حد .

لقد رأت اسرائيل أمامها على الجبهة ما لم يترك لها مجالا للخطأ فى نوايا مصر ... ولكن الوقت كان متأخرا وانقضت المفاجأة .

لم تكن المفاجأة هى نية الهجوم المصرى فقط ، وانما كانت المفاجأة أوسع مدى من ذلك واعمق بكثير .

ان اسرائيل ، كما قلت ، جزمت بنية الهجوم المصرى ، ولم يكن ذلك فى حد ذاته مفاجأة لها ، ولكن ما تلا ذلك أصابها بسلسلة من المفاجآت واحدة بعد واحدة ، وقد أستطيع ان أشير الى بعض هذه المفاجآت :

❶ فوجئت اسرائيل بجسارة الهجوم المصرى على طول خط المواجهة ، أى على امتداد ما بين ١٥٠ و ١٧٠ كيلومترا ، وكانت تصوراتها من قبل تتمثل فى اندفاعه على جبهة محددة وفى اتجاه محور واحد رئيسى تستطيع تركيز جهودها بالطائرات والمدرعات عليه ... ولم يحدث ذلك ، وانما جاء الهجوم على طول خط المواجهة واحتارت اسرائيل فى أين ومتى وكيف توجه هجومها المضاد الاول .

❷ فوجئت اسرائيل بدقة التخطيط العلمى لعملية العبور، وكانت هذه العملية فى تقديرات كل الخبراء فى اسرائيل وفى

العالم هى مرحلة التعرض المخيف للخطر .

وقد قال الجنرال ناركيس ـ وهو أحد القادة البارزين فى اسرائيل ـ خلال مناقشة له مع أحد الملحقين العسكريين الغربيين فى تل ابيب ، وهو يصف عملية العبور :

ـ لابد أن نشهد لهم [للمصريين يقصد] ... لقد كانت خطتهم دقيقة وكان تنفيذها أكثر دقة ...

اننا حاولنا بكل جهدنا عرقلة عملية العبور وصدها بالقوة وردها على أعقابها ... لكننا ما كدنا نتمثل ما حدث الا وقد تحققت لهم نتائجه .

كأننا أغمضنا عيوننا وفتحناها فاذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة الى شرقها وفاجأونا صباح يوم السابع من أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الشرق من القناة ! »

❸ فوجئت اسرائيل بنوعية الانسان المصرى الذى استعد للقتال ، وأتيحت له فرصته .

وكان وصف الجنرال جونين القائد العام الاسرائيلى لجبهة سيناء لافتا للنظر ، فقد قال الجنرال جونين :

« لقد كانوا يتقدمون موجات بعد موجات ... كنا نطلق النار عليهم ويتقدمون ... كنا نحيل ما حولهم جحيما ويتقدمون ... كان لون القناة قانيا بلون الدم وهم يتقدمون » .

❹ فوجئت اسرائيل بعد ذلك بجهد سلاحين ، كان تقديرها لهما أقل من الواقع ، وكانت التجربة بالنسبة لها مزعجة :

◀ الطيران المصرى وضربته الاولى بقرابة مائتى طائرة ، وكان أبرز ما حققه الطيران المصرى فى هذه الضربة الاولى هو تدمير مركز القيادة الاسرائيلى الرئيسى فى « أم خشيب » ؛ وبعده أصبحت جبهة سيناء لعدة ساعات ، على حد تعبير أحد جنرالات اسرائيل « جسما بغير جهاز عصبى يحكم تصرفاته ويسيطر عليها » ـ وكانت احدى قنابل هذه الضربة الاولى هى التى أصابت الجنرال ابراهام مندلر قائد المدرعات الاسرائيلى فى سيناء .

◀ جهاز الدفاع الجوى المصرى خصوصا عند حائط الصواريخ الشهير الذى بنى سنة ١٩٧٠ . وكانت اسرائيل تحسب حساب هذا الحائط تماما ، ولكن التجربة أثبتت لها أيضا ان تقديرها لهذا الحائط كان بأقل من حقيقته .

ويصف أحد المراقبين الدوليين عمل هذا الحائط قائلا :

ـ بين كل أربع طائرات اسرائيلية ، اقتربت من هذا الحائط ودخلت فى مجال تأثيره ، فان ثلاثا منها تهاوت كالفراش المحترق » .

ولكى يكـون هذا الرقم فى اطاره الصحيح فلعلنا نتذكر أن اعداد طيار من هذا المستوى فى أى سلاح جوى يتكلف ، وفق أدق التقديرات ، ثلاثة ملايين جنيه استرلينى من المعدات واستهلاك الطائرات والوقود الى آخره ... وهذا بالطبع غير ثمن الطائرة التى يكون على قيادتها حين يلحقه صاروخ الموت !

لم تكن مفاجآت الحرب فى مرحلتها الاولى لاسرائيل فقط :

◀ كانت وزارات الحرب والدفاع فى العالم كله تقريبا تتوقع هزيمة مصرية ساحقة ، وربما كان الخلاف بينها هو تباين فترة الوقت اللازمة للجيش الاسرائيلى حتى « يتصرف كما اعتاد ان يتصرف دائما » .

كان البنتاجون [قيادة الجيش الامريكى] يتوقع الهزيمة فى اثنتى عشرة ساعة لا أكثر ، وكانت التقديرات فى أوربا الغربية تتوقعها فى فترة تتراوح ما بين اربع وعشرين الى ثمان وأربعين ساعة .

ولم تكن هذه تقديراتهم وحدهم وانما كانت ملخص ما أبلغته لهم اسرائيل من معلومات فى الليلة الاولى من الهجوم العربى .

وحين جاء مساء اليوم الثانى فقد بدأ العالم الغربى يتساءل عن أسباب تأخير النتيجة المنتظرة ... لم يكن هناك من يساوره شك فيها ... ولكن السؤال كان : لماذا تأخرت ؟!

وفى اليوم الثالث كانت هناك شكوك ، وكانت هناك تساؤلات وروى لى أحد أعضاء مجلس النواب الامريكى أن كل عضو فى الكونجرس الامريكى راح يتصل بالبنتاجون ، والسؤال الدائر على كل لسان هو :

ـ بحق السماء ... ماذا يحدث فى ميدان الحرب بين مصر وأسرائيل ؟ »

وكان الرد من البنتاجون معبأ بالحيرة يقول :

ـ هناك شىء غريب يحدث ونحن بصدد متابعته وتقييمه ، وسوف نوافيكم بما يستجد لدينا » .

◀ وكانت كل صحف العالم الكبرى تتوقع تكرارا سريعا لكارثة سنة ١٩٦٧ .

وروى دنيس هاملتون رئيس التحرير العام لمجموعة صحف التيمس فى لندن ـ وكان يزور

« الاهـــرام » فى الاســـبوع المـــاضى ـــ روى أمامى للرئيس أنور السادات ، وكان قد ذهب معى للقائه : أن صحافة العالم توقعت أقصر حـــرب فى التاريخ ... ربما حرب الساعات الست بـــدلا من حرب الايام الســـتة . وقال دنيس هاملتون :

« لكننا جميعـــا بـــدأنا نراجع توقعاتنا على ضوء ما كان يجيئنا من أخبار جبهات القتال ؛ وكانت كلها عكس ما انتظرناه » .

وروى لى صحفى أمريكى كبير تجربته فى متابعة أخبار القتـــال من نيويورك قائلا :

ـــ فى اليوم الاول كنت أعتمد على المصادر الاسرائيلية وحدها وكنت مقتنعا بأن ما فيهـــا هو الحقيقة ، لان اسرائيل بقوتهـــا لا يهمهـــا ان تغطى على شىء ، ولكننى فى اليوم التالى اكتشفت أن ما أتلقاه من أسرائيل لا يمثل الحقيقة ؛ ومن ثم فانى تحولت الى مصادر أخرى ... »

وربما كانت الجاليات العربية فى الولايات المتحدة وفى أوربا بين أكثر من فوجئوا بما حدث .

وروى لى أستاذ فلسطينى يعمل فى احدى الجامعـــات الامريكية تجربته قائلا :

ـــ عندما بدأت الحـــرب ... كان همى وهم غيرى ؛ أن نرتب أنفسنا على ما سوف نقوله بعد أن تحل بنا الهزيمة ... كنا فى تكويننا العقلى قـــد اســـتوعبنا الهزيمة ، ولم نكن قد تحســـبنا لاحتمال النصر » .

واستطرد يقول :

ـــ بعد أيام اختلفت الصورة ... ادركنـــا انه لا حاجة بنـــا لاســـتعادة ما اســـتوعبناه من تجربة الهزيمة ... أدركنا اننـــا استانفنا التاريخ ! »

كان سير المعارك على الجبهة المصرية ـــ واقصر حديثى عليها لا تقليلا من أهمية الجبهة الاخرى وهى الجبهة الســـورية ، ولكن لانها الجبهة التى تابعت ســـير الحرب عليها ثانية بثانية ـــ يمشى فى طـــريق يختلف تماما عن اى تجربة سابقة .

وربمـــا نقلت بعض المـــلامح الرئيســـية لصـــورة ما حدث ، معتمدا فى هـــذا على مصـــادر دولية متعددة اثق تماما فى دقة اطلاعها .

■■■ قيل لى مثلا :

ـــ ان الجنرال جـــونين قائد جبهة سيناء فقد اعصابه واصيب بانهيـــار كامل بعد ســـقوط خط بارليف .

وهـذا الذى حـدث للجنرال جونين يستحق وقفة عنده ... أن جونين واحد من جيل القـادة العسـكريين الاسرائيليين الذين اعـدتهم الدولة مبكرا للقيـادة واعطتهم كل الفرص حتى يكونوا على المسـتوى المطلوب حينمـا يصلون الى قمة الهرم العسكرى فى اسرائيل .

ان انهيار الجنرال جونين لم يكن مأساة جنرال غلبته الحوادث ولكنها كانت مأسـاة جيل بأسره من القادة الجدد فى اسرائيل .

ربما كانت مشكلة افراد هذا الجيل الذى وصـل الى القمة العسـكرية فى اسرائيـل انهم عاشوا أطفالا فى تجربة سـنة ١٩٤٨ ، ثم عاشوا رجالا تجربة سنة١٩٦٧، ثمخلطوا بينقدراتهم الذاتية ، وبين ضـعف غيرهم ، فأعطـوا لانفسـهم أكثر ممـا يستحقون ، وسلبوا غيرهم حقه فى تلافى ضعفه ! »

■■■ قيل لى مثلا :

ـ ان وضـع القيـادة الاسرائيلية امام الجبهة المصرية اصـبح وضـعا غريبـا ، فقد سـارعت القيادة السـياسية والعسـكرية العليـا الى تعزيز جبهة سيناء بعدد من جنرالات اسرائيل القدامى المجربين .

كان هناك رأى بعزل جونين بعد انهياره ، ولكن ديان عارض ذلك ، لانـه يسيء الى سـمعة العسكرية الاسرائيلية . ويعتبر اعترافا بالفشـل أمام الجيش المصرى .

والنتيجـة ان جونن وجـد نفسه باقيـا فى قيادته ، ولكن حـوله ثـلاثة من الجـنرالات يتنازعون الاوامر وهم :

● الجنرال كالمان ، الذى حل فى قيـادة المدرعات امام الجبهة المصرية محل الجنرال مندلر الذى قتل فى الضربة الجوية المصرية الاولى .

● الجـنرال ادان . الـذى أرسل على عجل ليقوم بأية مهام يكلف بها بجوار الجنرال جونين

● الجنرال شـارون ، وهو قائد جبهة سيناء السابق ، وقـد كلف بتحين الفرصة للقيام بهجوم اسرائيلى مضاد وكان هو فعلا قائد قوات الثغرة فى الدفرسوار

والمشـكلة ان كل هـؤلاء الجنرالات الثلاثة كانوا اسـبق فى الاقدمية من الجنرال جونين الذى كان مازال على الورق قائدا عاما للجبهة !

كانوا تحتقيادته ... وكانوا أعلى رتبة منه .

والنتيجة فوضى شـاملة فى قيادة الجبهة .

وتقرر ارسال الجنرال حاييم بارليف ليتـولى التنسـيق بين الجنرالات الاربعة الذين شاعت

الفوضى فى علاقاتهم وتوجيهاتهم ولكن باراليف وصل لكى يصبح طرفا فى الفوضى المضاربة ، وليس حكما فوق اطرافها » .

■■■ قيل لى مثلا ، والقائل فى وضع يسمح له بمعرفة الحقائق كاملة .

ـ ان الجنرال دافيد اليعازر رئيس هيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى دخل الى اجتماع لمجلس الوزراء الاسرائيلى يحمل تقريرا يدعو الى التشاؤم حول سير الحرب على الجبهة المصرية

كان ذلك فى مساء يوم ٨ أكتوبر ، وكان مؤدى تقرير « دادو » ـ اسم التدليل الذى اشتهر به دافيد اليعازر ـ ان قوة المدرعات الاسرائيلية فى سيناء قد تلقت ضربة مخيفة .

كانت هناك حين بدأت العمليات ثلاثمائة وخمسون دبابة .

وقال « دادو » فى تقريره :

ـ لم تبق الان فى سيناء وعلى طول المسافة من خط الجبهة الى العريش غير تسعين دبابة » .

واستطرد دادو :

ـ ان هناك الوية مدرعة من الاحتياطى الاستراتيجى تأخذ طريقها الان الى خط الاشتباك مع مصر ... ولكن الموقف فى هذه اللحظات عصيب . »

وسكت «دادو»، وران الصمت على مجلس الوزراء الاسرائيلى .

■■■ وقيل لى مثلا ان دافيد البعازر جلس الى اجتماع مع الملحق العسكرى الامريكى فى اسرائيل يعطى قوائم بالسلاح المطلوب ارساله على عجل ، وكان أول طلباته اسلحة صاروخية مضادة للدبابات .

وطلب اليعازر ان تجىء هذه الاسلحة الصاروخيه المضادة للدبابات على عجل ، وان تنقل بالطائرات ، لان كل دقيقة لها قيمتها .

وسمع بعض الملحقين العسكريين الاجانب فى اسرائيل بطلبات الجنرال اليعازر .

وجلس معهم فى اليوم التالى يعطيهم صورة لما يجرى فى ميدان القتال ، وساله احد الملحقين العسكريين الغربيين :

ـ لماذا لم تكن لديكم من قبل هذه الاسلحة الصاروخية المضادة للدبابات ... اننا نعرف ان معظم اصابات دباباتكم جاءت من الصاروخ الذى تستعمله مصر وهو من طراز «مولوتكا» السوفيتى ... ومعنى ذلك ان مصر تنبهت من قبل لاهمية الصواريخ المضادة للدبابات ، فى حين انكم هنا لم تتنبهوا لذلك ...

كانت ترسانات الاسلحة الامريكية مفتوحة لكم.. تختارون كما تشاؤون ولكنكم لم تأخذوا ما

كانت بكم حاجة اليه والان تجدون انفسكم فى موقف صعب . »

ورد الجنرال اليعازر ردا فيه من العصبية اكثر مما فيه من المنطق قائلا ببساطة، واكاد اقول ببلاهة :

ـ ايها السادة ... انتم تنسون اننا اعددنا جيشنا ليكون جيشا هجوميا ... كنا نريد الدبابات ولم تكن تعنينا الاسلحة المضادة للدبابات ... نحن جيش هجومى ... هل ترون ؟! »

■■■ قيل لى مثلا :

ـ من الغريب انه كانت لدى اسرائيل كل الفرصة لمعرفة قدرة وفاعلية الصواريخ المضادة للدبابات ... كان هناك باستمرار مراقبون اسرائيليون فى كل معارك فيتنام وقد شهدوا استعمالات الاسلحة الامريكية الحديثة على الطبيعة .

كانوا هناك حيث استطاع الفيتناميون الجنوبيون أن يصدوا آخر هجوم بالدبابات قامت به قوات الجنرال جياب الفيتنامى الشمالى الاسطورى .

وقد تمكن جيش فيتنام الجنوبية من تدمير دبابات كثيرة للجنرال جياب وكانت هناك جلسة لتقييم نتائج هذه المعركة حضرها جنرال اسرائيلى لكنه قال :

ـ ان خسائر جياب لم تكن بسبب الصواريخ المضادة للدبابات ولكن لأن قواته التى تعودت أساليب حرب العصابات ونجحت فيها نجاحا باهرا كانت امام تجربة لم تستوعبها لأن حرب الدبابات كانت جديدة عليها ! »

ومضت أيام قبل أن تتمكن القيادة الاسرائيلية من استعادة توازنها لكنها عندما فعلت ذلك كانت خسائرها فادحة :

◆ كانت قد فقدت ثلث سلاح الطيران وضاعت منها صفوة الطيارين .

◆ كانت قد فقدت نصف سلاح المدرعات بما فيها خيرة الاطقم المدربة .

◆ كانت قد فقدت ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف قتيل من الضباط والجنود .

ولقد زادت كل هذه الخسائر فيما بعد لكن تلك كانت الفترة التى وقفت فيها اسرائيل على حافة الجنون :

● كانت هذه هى الفترة التى سارعت فيها الولايات المتحدة الامريكية الى اقامة جسر جوى وبحرى ينقل المدد العسكرى السريع الى اسرائيل .

● وكانت هذه الفترة التى راودت فيها اسرائيل فكرة التخويف بالمعلوم ـ أو بالمجهول ـ عن قنابلها الذرية .

[ولعلى ارجوملحا انيؤخذ هذا الموضـــوع جـــدا ، وان نستعد له عارفين مقدما ان استعمال الاسلحة الذرية دونه محاذير هائلة ، ولكن علينا ان ندرك ان صراعنا مع اسرائيل برغم كل ما يقال عن مؤتمر السلام القادم صراع طويل طويل طويل وان هذا الصراع قد يشـــهد لحظـــات جنون يجب ألا نأخذنا فيها اية مفاجأة ثم ان هذه الامة العربية اذا كانت بالفعل تتطلع الى دور عالمى مؤثر فانها لا نســـتطيع بلوغه بغيرمظلة ذرية مستقلة وهو ما فهمته جيـــدا كل من الصين وفرنسا واكاد اقول : والهند واليابان ايضا من ناحية استعدادهما لصنع القنبلة فى شهور اذا ماصدر بذلك قرار سياسى]

● وكانت هذه هى الفترة التى صدرت فيها الاوامر الى الجنرال شارون بأن يقوم — ومهما كانت المخـــاطر — باختراق الجبهـــة المصرية لكى يصل بقـــواته الى الغرب من قناة السويس .

● ثم كانت هذه اخيرا هى الفترة التى أطلت فيها ازمة الثقة لاول مرة فى اسرائيل بين الجيش والحكومة وبين الجيش والشعب، وبين الحكومة والشعب .

احس الـــرجل العـــادى فى اسرائيل ان الامور على الجبهة تسير خلافا لما كان مهيا له واحس الرجل العادى فى اسرائيل ان ما يقال له ابعد ما يـــكون عن الحقيقة .

واهتـــزت اشـــياء كثيرة فى اسرائيل ...

افـــكار ... وقيم ومعتقدات سابقة .

وتهاوت مثل ... وتماثيل ... وصروح شامخة اوبدت شامخة!

كل هـــذا والانتخـــابات الاسرائيلية العامة على الابواب .

وهى انتخابات ســـوف تحكم نتائجها سياسة ومزاج اسرائيل لعدة سنوات قادمة على الاقل.

ولو تصـــورنا ان كل صراع هو فى حقيقته **امتحان** لاستطعنا

ان نقول بما يلى :

● ان مصر حصلت على الدرجات النهائية فى الامتحان بالنسبة للمرحلة الاولى من حرب أكتوبر وهى مرحلة القرار والمبادأة ـ والمفاجأة ـ به .

● أن مرحلة ادارة صراع الحرب ـ ضمن ممارسة القوة السياسية الشاملة مازالت تجرى .

● ان مرحلة تحقيق الهدف ـ او محاولة ذلك ـ على وشك ان تبدأ .

وليس هناك شك فى ان اسرائيل سوفتستميت للحصول على اقصى ما تستطيع الحصول عليه من درجات الامتحان فى المرحلتين الاخيرتين ... مرحلة مازالت تجرى ، ومرحلة على وشك ان تبدأ

وليس هناك شك فى اننا نحن الاخرين سوف نحاول تعزيز نجاح المرحلة الاولى بنجاح مماثل فى المرحلتين التاليتين .

ومن هنا تأتى اهمية متابعة ماجرى ويجرى الان فى اسرائيل وبالذات فى فترة انتخابات عامة فى بلد غير عادى ، فى ظروف غير عادية .

محمد حسنين هيكل